ملخّص بانوراما الرجعة العظيمة - الحلقة 7 / عبد الحليم الغزّي
المنزلة العقائدية والعبادية لعقيدة الرجعة في منظومة الادعية والزيارات المعصومية ج1
1 . الزيارات ق1
السبت : 7/شهر رمضان/1446هـ - الموافق 8/3/2025م

في سُورة الضُحى، الآيةُ الرّابعةُ بَعْدَ البَسملَة: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُوْلَىٰ﴾، الخطابُ لِرسول اللّه صلَّى اللَّهُ عليه وآله، هـٰذه السّوَرُ المكيّة، فإنَّ حديثَ الرَّجعة بدأ في آيات الكتاب الكريم مُنْذُ اللَّحظات الأُولى من البعثة النَّبويَّة الشَّريفة..
﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾، هُناكَ آخرةٌ، وهُناكَ أُولى، وإذا ما نظرنا إلى تفاصيل سُورةَ الضُحى فإنَّ كُلَّ آياتها تتحدَّثُ عَن وَاقع الحياة الدُّنيويّة: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾، إلى بقيّة المطالب الَّتي جاءت في السُّورة الكَريمة، الكَلامُ هُنا أيضًا في أجواء الحياة الدُّنيويَّة: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾.
- الأُولى؛ هي الَّتي قالَ عنها سَيِّدُ الكائنات صلَّى اللّهُ عليه وآله: (مَا أُوذِيَ نَبِيٌّ مِثْلَمَا أُوذيت).
- أمّا الآخرة؛ فهي الرّجعةُ مثلما تُخبرنا أحاديثُ العترة الطّاهرة:
في (مختصر البصائر) للحسنِ بنِ سُليمان الحلّي من أعلام الشِّيعة في القرن الثّامن الهجري، طبعةُ مؤسَّسة النشر الإسلامي/ قُمْ المقدَّسة/ الصَّفحة الثّالثة والستّين بعدَ المئة، الحديثُ السّابعُ والثّلاثون: بِسنده - بِسند مُصنِّف الكتاب - عَن أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ إِمَامِنَا الْصَّادِقِ صَلَوَاتُ اللَّه وَسَلَامهُ عَلَيْه فِي قَوله: فِي قَوله تَعَالَى: "وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُوْلَىٰ" - قالَ إمامُنا الصَّادقُ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه بِخُصوص هـٰذه الآية - يَعني الكَرّة هِيَ الآخِرَةُ لِلنَّبِي صَلَّى اللَّهُ عليه وآله - في هـٰذه الآية - ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ - إمامُنا الصّادقُ قَالَ: يَعني الكَرّة.
الآية الَّتي بعدها: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾، أبو بَصير يسألُ الإمام الصَّادقَ عن هـٰذه الآية: قُلتُ قَولُهُ: "وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى"، قَالَ: يُعطِيكَ مِنَ الجنَّة فَتَرْضَى.
فالحديثُ هُنا عن يوم الرّجعة وعن يوم القيامة الكُبرى:
"وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ"؛ إنَّها الكَرّةُ.
"وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى"؛ إنَّها الجنَّةُ.
في سُورة التَّكاثر، الآية الثّالثة بعدَ البسملة والَّتي بعدها: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.
في المصدر نَفسه، الرِّوايةُ عَن إمامنا الصَّادق صَلواتُ اللّه وسَلامهُ عليه، يبدأ الحديث في صفحة (477)، الحديثُ الثّامنَ عَشَر: بِسَنده، عَنْ عَبْد اللّه بنِ نُجَيْح اليَمَانِيّ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَبْد اللَّه الْصَّادق صَلَوَاتُ اللّه وَسَلَامهُ عَلَيْه: "لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئذ عَنِ النَّعِيم" - الآيةُ الثّامنةُ بعدَ البسملة من سُورة التَّكاثر - قَالَ - إمامنا الصَّادقُ صلواتُ اللّه عليه - النَّعِيمُ الَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُم بِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد - هَـٰذا هو النَّعيمُ الَّذي سَنُسْأَلُ عنهُ يومَ القيامة، لا كما يقولونَ بأنَّه الرُّطبُ والماءُ البارد..
إلَّا إذا كانَ المرادُ من الرُّطبِ والماء الرَّمزيَّةُ الَّتي تُشيرُ إلى المودَّة والوَلاية، فحينئذ سيكونُ الكلامُ في اتِّجاه آخر..
-وَفِي قَوله تَعَالَى: "لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ"، قَالَ: الْمُعَايَنَة - ما جاء في السُّورة نفسها، لكنَّ موطنَ الشَّاهد الَّذي أريدُ الإشارة إليه: وَفِي قَوْله تَعَالَى: "كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُون، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ"، قَالَ: مَرَّةً بِالْكَرَّة وَأُخْرَى يَوْمَ القيامَة - في اليوم الثّاني وفي اليوم الثّالث..
ما عرضتهُ لَكُم لم يكُن استقصاء لكُلِّ الآيات الَّتي تحدَّثت عنها الرواياتُ بأنَّها ترتبطُ بعقيدة الرّجعة..
ولابُدَّ أن تَعرفوا من أنَّ الرّجعةَ تحدَّثَ القُرآنُ عنها تارةً بنحوٍ مُباشرٍ واضحٍ وخاص، وتارةً تحدَّثَ القُرآنُ عنها ضمنَ سياقٍ، هـٰذا السِّياقُ يُشيرُ إلى الآثارِ الَّتي ستظهرُ واضحةً وجليَّةً في تلكَ المرحلة أعني مرحلة الرّجعة.
وأضربُ لَكُم مثالًا: الحديثُ عَن آيات اللّه الَّتي سيراها النَّاس في مَقطعٍ من مقاطع وجُودهم، هـٰذه الآياتُ تتضمَّنُ بنحوٍ بمستوى التصريح تارةً، وبنحوٍ بمستوى التلميح تارةً أُخرى بِخُصوص الرَّجعة العظيمة، أمثلةً من هـٰذه الآيات:
في سُورة البقرة، الآيةُ الثّالثةُ والسّبعون بعدَ البَسملة في سياق قصّة بقرة بني إسرائيل وكيفَ أنَّهم بعدَ أن ذَبحوها ضَربوا القَتيل بذيلها فرجعت الحياةُ إليه، نَحنُ والآية: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، هـٰذه آيةٌ صغيرةٌ بِخُصوص قَتيل بني إسرائيل..
آياتُ الرَّجعة الكَبيرة ستكونُ في زَمان الرَّجعة، لأنَّ الآيات الأعظم؛ "مُحمَّدٌ وعَليٌّ وفَاطمَة وَوُلْدُ فَاطمَة منَ المُجتبى إلى القَائم"، هـٰذه هي الآياتُ الأعظم الَّتي ستَتجلَّى بالنَّحو الَّذي يُناسب عَصر الرَّجعة العَظيم ة، لَعلَّكُم على سبيل التوقُّع، على سبيل الترجّي لَعلَّكُم تتدبَّرونَ في آيات اللّه..
في سُورة الأنعام إنَّه قانونُ الغَيبة والظُّهور والرَّجعة، الآيةُ الثّامنةُ والخمسون بعدَ المئة بعدَ البسملة: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ - الحديثُ عن كائنات بشريَّة عاقلة وُصفت في الآية بأنَّها آياتُ رَب الأرباب - يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾، الحديثُ هُنا عن الآيات أيضًا.
الآيةُ التّاسعةُ بَعْدَ البسملة من سُورة الكهف في سياقِ قصّة أصحاب الكَهف: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾، مصداقٌ من مصاديق الآيات العَجيبة..
في سورة طه، الآيةُ السّادسةُ والعُشرون بَعْدَ المئة بَعْدَ البَسْملة، الآياتُ الَّتي قبلها في سياق الرّجعة الصُغرى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي - أعرضَ عن وَلايَة عَليٍّ - فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا - في الدُّنيا في الرجعة، في الرّجعة الصغرى، والأمر هُوَ هُوَ سيجري في الرجعة العظيمة بنحوٍ أشد - وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾.
الآيةُ الَّتي أُريدُ الإشارة إليها: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾، هـٰذا جوابٌ لسُؤال هـٰذا الأعمى الَّذي كانَ يأكُلُ العَذرَةَ في الدُّنيا أيّام رجعته وحُشر أعمى في القيامة الكُبرى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ﴾، الحديثُ عَن الآيات، وهـٰذا الأمرُ يستمرُّ في الكتاب الكريم ويأتي مُنسجِماً مع المضمون الَّذي بيّنتهُ لَكُم حينما كُنتُ أُحدِّثكم عَنْ المنزلة المعرفيَّة لعقيدة الرّجعة في دين العترة الطّاهرة..
فالرّجعةُ هي الأرضيَّةُ الَّتي ستتجلَّى فيها آياتُ اللّه، وهـٰذا هُوَ الَّذي تتحدَّثُ عَنْهُ كَلماتُ القُرآن.
سُورةُ النَّمل، الآيةُ الثّالثةُ والثّمانون بعدَ البسملة وهي أصرحُ آيَة في القُرآن في موضوع الرَّجعة: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾، الحديثُ عَنْ الآيات يتواجدُ في كُلِّ المضامين القُرآنيّة الَّتي ترتبطُ بالرّجعة العظيمة..

فعصرُ الرّجعة هُوَ عَصرُ تَجلّي الآيات، هُوَ عصرُ تطبيقِ برنامج اللّه..
في سُورة النّمل، الآيةُ الثّالثةُ والتّسعون بَعْدَ البسملة وهي آخرُ آية في السّورة: ﴿**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا** - "سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ"؛ سَيُرِيْكُم أمِيْرَ المؤمنينَ وَالْأئِمَّة، هي هٰذه الآياتُ العُظمى - **وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾.
في سُورة غَافر، الآيَة الحَاديَة والثّمانين بَعْدَ البَسملة: ﴿**وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ** - ومرّ كلامُهم أيضًا بِخُصوص هٰذه الآية من أنّها تتحدَّثُ عن واقع الرّجعة العظيمة - **فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ**﴾، الكلامُ عن الرّجعة لا ينحصرُ بعنوان الآيات فقط هناكَ العديدُ من العناوين والعديدُ من الرّمُوز والعديدُ من المفاتيح التفسيريّة، كُلُّ هٰذا نجدهُ واضحًا في أحاديث العترة الطّاهرة..
وفقاً لأيّة مُفردات وبديهيّات ستتدبَّرونَ في القُرآن؟
هُناكَ تدبّرٌ رحمانيّ؛ وهُوَ التدبّرُ الّذي يبتني على مُفردات ثقافة دِيْن العِتْرَة الطّاهرة.
وهُناكَ تَدبّرٌ شيطانيّ؛ وهُوَ الّذي يفتكُ بالنّاس يتدبَّرونَ في القُرآنِ إمّا وِفقاً لجهلهم الخاصّ بِهم أو وِفقًا لتفاسيرِ مراجع النّجف وكربلاء، وِفقًا لتفاسيرِ الطّوسيّين والقُطبيّين ألا لعنةُ اللّه عليهم..
عُنوان ثالث، عُنْوان جَديْد: "**الْمَنْزِلَةُ الْعَقَائِدِيَّةُ وَالْعِبَادِيَّةُ** - لأنَّ العقيدَةَ لابُدَّ أن تُترجَمَ إلىٰ عِبادَة، وأفضلُ العِباداتِ هِيَ العِباداتُ العَقائديَّة - **الْمَنْزِلَةُ الْعَقَائِدِيَّةُ وَالْعِبَادِيَّةُ لعَقِيْدَةِ الرَّجْعَةِ فِيْ مَنْظُوْمَةِ الْأَدْعِيَةِ وَالْزِّيَارَاتِ الْمَعْصُوْمِيَّة**".
نَحنُ الّذيْنَ نقولُ منَ أنّنا شيعةُ العترة الطّاهرة نتفرّدُ في مُعطياتنا الثّقافيّة الدّينيّة، نَتفرّدُ أنَّ الْأئِمَّةَ وفَّروْا لنَا منظُومةً هائلةً واسعةً مُتّسعةً من أدعيَتهم وزياراتهم، ومن سُوء طالع الشّيعة أنَّ الّذينَ ترأسوْا عليهِم منَ المَراجع لا يعبؤونَ بهٰذه المنظُومة، لماذا؟ لأنّهم رتّبوْا حالَهُم وِفقًا لمنهج نواصبِ سَقيفة بني ساعدة، نواصبُ سَقيفة بني ساعدَة لا يمتلكونَ منظُومةً كمنظُومة الأدعية والزّيارات الّتي عندَنا..
لو سألتُمُوني من خلال تجربة طَويلة تمتدُّ إلىٰ أكثرِ من أربعة عُقود من عُمري، لَو سألتُمُوني عَنْ الْمُعطيات الّتي وَفَّرت لي أو تُوفِّرَ لي حقائقَ المعرفة؟ فإنّني لَا أعرِفُ غَيْرَ الأدعيَة والزّيارات.
إنّني أُقَسِّمُ مراتبَ النّصوص بهٰذه الطّريقة: "آياتُ القُرآن، الأدعيةُ والزّيارات، وبعدَ ذٰلك تأتينا الخُطبُ والأحاديثُ والرّوايات"، الخُطبَ والأحاديثُ والرّوايات هي بِمثابة شرحٍ لنُصوص الأدعية والزّيارات..
هٰذه المنظُومةُ الرّائعةُ منَ الأدعية والزّيارات إذا ما يَمَّمنا أنظارنا إليهَا فإنّها تتحدَّثُ عَن الرّجعة العَظيمة وتتحدَّثُ تصريحًا، تلميحًا، بنحوٍ مُطوّل مُسهَب، بنحوٍ مُوجز، بالعبارَة والإشَارة، باللّطائف والحقائق، ولا ننسى فإنَّ الأدعيةَ والزّيارات نُصوصٌ مَعرفيّةٌ، ونُصوصٌ عباديّةٌ يجتمعُ فيهَا طَلَبُ المعرفة وتحقيقُ المعرفة، وأداءُ الطّقُوس والعبادة وهٰذا يأتي عبرَ القراءة، فما يقولهُ أميرُ المؤمنين صلواتُ اللّه وسَلامهُ عليه؛ (أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّم، أَلَا لَا خَيْرَ فِي قِراءة لَيْسَ فِيهَا تَدبُّر، أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِبَادَة لَيْسَ فِيهَا تَفَكُّر)، ينطبقُ على الأدعيةِ والزّيارات حِينما نتعاملُ معها، لأنَّ الأدعيةَ والزّيارات مَصدرٌ علميّ ومعرفيّ..
سَأضرِبُ لَكُمْ أمثلةً من نُصوصِ زياراتنا الشّريفَة:
الزّيارةُ الأُم؛ (الزّيارةُ الجامعةُ الكبيرة)، دُستورُ عقائدنا الشّيعيّ، دُستورُ المعرفة والعَقيدة والوضُوح والبَيان، مُوسَىٰ بنُ عبد اللّه النّخعيّ قالَ لإمامنا الهَادي صَلواتُ اللّه عليه: **عَلِّمني يَا ابْنَ رَسُول اللّه قَولًا أَقُولُهُ بَليغًا كَامِلًا إذَا زُرْتُ واحِدًا منْكُم** - فَعلَّمهُ الإمامُ الزّيارة الّتي نَعرفهَا بالزّيارة الجامعة الكَبيرة، هٰكذا تُعرَفُ في كُتُب المزارات وفي جوامع الأدعية وفي كُتُب الحديث، إنّها القولُ البَليغُ الكَامل.
المصدرُ الأصل بِحسبِ ما هُو متوفّرٌ لدينا في المكتبة الشّيعيّة هُوَ (فقيهُ مَن لا يَحضرهُ الفَقيه) للصّدوق المتوفّىٰ سنة (381) للهجرة، طبعةُ مُؤسّسة النّشر الإسلامي/ قُمْ المقدّسة/ الجزء الثّاني، الزّيارةُ موجودةٌ في مفاتيح الجنان، هٰكذا يُخاطبُ الزّائرُ مُحَمَّدًا وآلَ مُحَمَّد في زيارتهم صَلَواتُ اللّه عَلَيهِم: (**مَعْتَرِفٌ بِكُم، وَمُؤْمِنٌ بِإيَابِكُم، مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُم**)، هل هُناكَ فارقٌ بينَ الإيابِ والرّجعة؟ نعمْ هُناكَ فَارِقٌ بينَ الإيابِ والرّجعة..
بنحوٍ موجز: الرّجعةُ حينما نستعملُها تارةً نستعملُها عُنوانًا عامًّا وحينئذٍ سيشتَمِلُ هٰذا العُنوان على:
- **أوّلًا**: الرّجعةُ بالمعنىٰ الخاص، والمَعنىٰ الأخص.
- **ثانيا**: الكرّةُ.
- **وثالثًا**: الأَوْبَةُ.
هُنا جاء الكَلامُ عَنْ الرّجعة بالمعنىٰ الخاص، وعَن الأَوْبَة وهِيَ مَرتبةٌ من مَراتب الرّجعة، فَحينما تُذكَرُ الأَوْبةُ الإيَابُ، تُذكَرُ الأَوْبَةُ معطوفةً علىٰ الرّجعة فإنَّ الرّجعةَ هُنَا ما هي العُنوانُ العام، تَحتَ هٰذا العُنوان تَأتي هٰذه المراتب: "تأتينا رَجعةٌ بالمعنىٰ الخاص، وتأتينا أَوْبَةٌ، وتأتينا كرّةٌ".
- **مُنْتَظِرٌ لأَمْرِكُم، مُرْتَقِبٌ لدَوْلَتِكُم، آخِذٌ بِقَولِكُم** - مُرتَقِبٌ لِدَوْلَتِكم؛ ليسَ المرادُ منَ الدّولة ما هُوَ مُتعارَفٌ عليه في زَماننا، الدّولةُ الّتي نعرِفُها في زَماننا لها شخصيّةٌ قَانونيّةٌ اعتباريّةٌ..
الدّوْلَةُ هُنا يُرادُ منها؛ الفترةُ الزمانيّةُ الّتي تكونُ الظّروفُ فيها مُؤاتيةً لمَا يُريدهُ صاحبُ الدّولَة، فَحينما نقولُ دَوْلَةُ مُحَمَّد صلّى اللّهُ عليه وآله إنّها الظّروفُ الزّمانيّةُ والمكانيّةُ والاجتماعيّةُ والسياسيّةُ والاقتصاديّةُ الّتي تَأتي مُنا سبةً لمَا يُريدهُ صَاحبُ الدّولة بِحَسبِ ما يكونُ قد تَحقَّقَ علىٰ أرض الواقع مِمَّا هُوَ يُريدهُ، ومِمَّا هُوَ يُخطّطُ له، ولا علاقة لمعنىٰ الدّوْلَة بالمعنىٰ الّذي هُوَ مُتعارَفٌ عليه الآن.
- **عَاملٌ بِأمْرِكُم، مُستَجِيرٌ بِكُم، زَائرٌ لَكُم لَائذٌ عَائذٌ بِقُبُورِكُم، مُسْتَشْفِعٌ إلَى اللّه عَزَّ وَجَلَّ بِكُم وَمُتَقَرِّبٌ بِكُم إلَيْه** - وتستمرّ عبائرُ الزّيارة الجَامعة.
أنا أقَولُ للشّيعة: أنتُم حينما تقرؤونَ هٰذه الزّيارة هل تقرؤونها كزَائرٍ إنسانٍ يُخاطبُ إمامهُ ويتحدَّثُ معهُ بكلامٍ يفقهُ معناه، أم تُخاطِبونَ الإمام وتزورونَ الإمام بِمثابة أنَّكُم بهائم؟ من أيِّ صنف أنتُم؟!
قَارِنوا كَم تحدَّثت الزّيارةُ هُنا عن الشّفاعة وكم تحدَّثت عن الرّجعة، الشّفاعةُ الّتي هيَ من أُمّهات عَقائدنا والزّيارةُ هُنا تَعرِضُ العقيدة الشّيعيّة الأصيلة، وكم من الحُروف والكلمات تحدَّثت الزّيارةُ فيها عن الرّجعة وشؤونها، الزّيارةُ مع أهميتها قالت الزّيارةُ الجامعةُ عنها: **زَائرٌ لَكُمْ لَائذٌ عَائذٌ بِقُبُورِكُمْ** - أمّا الرّجعةُ فإنَّ الكَلامَ المُتقدِّمَ كُلَّهُ كانَ بِخُصوصِها، وستعودُ الزّيارةُ الجامعةُ مَرّةً ثانيةً ومَرّةً ثالثةً وهي تتحدَّثُ عَن الرّجعة العَظيمة - **مُسْتَشْفِعٌ إلَى اللّه عَزَّ وَجَلَّ بِكُمْ وَمُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إلَيْه وَمُقَدِّمُكُمْ أمَامَ طَلِبَتِي وَحوائجِي وَإرَادَتِي فِي كُلِّ أحْوَالِي وَأُمُورِي، مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُم وَعَلانِيَتِكُمْ وَشَاهِدكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَأَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ وَمُفَوِّضٌ فِي ذٰلِكَ كُلِّه إلَيْكُمْ وَمُسَلِّمٌ فيه مَعَكُمْ وَقَلْبِي لَكُمْ سِلْمٌ** - هنا بحسب النص في هٰذه الطّبعة، وإلّا فإنَّ القراءةَ الصّحيحة والنّصّ الصّحيح: (**وَقَلْبِي لَكُمْ مُسَلِّمٌ**) **وَرَأيِي لَكُمْ تَبَعٌ وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتَّى يُحيِي اللّهُ دِينَهُ بِكُمْ** - رجعت الزّيارةُ كي تتحدَّثَ عن الرّجعة: **وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ** - في حياتي إن أدركتُ ذٰلك وبعدَ موتي إن رَجعتُ في رَجعتكم - **حَتَّى يُحْيِيَ اللّهُ دِينَهُ بِكُمْ وَيَرُدَّكُمْ فِي أيَّامِه** - متى؟ في الرّجعة حياةُ الدّين، الدّينُ ميّتٌ ولم يُطبّق دينُ اللّه منذُ

زمانِ رسول اللّه وإلىٰ يوم الظُّهُور، التَّطبيقُ الكاملُ فِيْ عصر الرّجعة العظيمة - **وَيُظْهِرَكُم لِعَدْله** - "وَيَرُدَّكُم فِيْ أيَّامه"؛ أيَّامُ اللّه الثَّلاثة: يومُ القائم ويومُ الرَّجعة ويومُ القيامة الكبرىٰ - **وَيُمَكِّنَكُمْ فِيْ أَرْضِه فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ عَدُوِّكُم** - هٰذه الجملةُ الَّتي تُمَثِّلُ قلب الزيارة الجامعة الكبيرة، هٰذه جاءت في سياق الرجعة العظيمة..

فبعدَ أن تَحدَّثت الزِّيارةُ الجامعةُ الكبيرةُ مرَّتين عَن الرَّجعة تَحدَّثت فِيْ شؤونٍ أخرىٰ ثُمَّ رَجَعت وعَطَفت الكلامَ علىٰ الرّجعة في مَرّة ثالثة: **وَجَعَلَنِي مِنْ خِيَارِ مَوَالِيكُم التَّابِعِينَ لِمَا دَعَوتُم إِلَيْه وَجَعَلَنِي مِمَّن يَقْتَصُّ آثَارَكُمْ وَيَسْلُكُ سَبِيلَكُمْ وَيَهْتَدِي بِهُدَاكُمْ وَيُحْشَرُ فِي زُمْرَتِكُمْ وَيَكِرُّ فِي رَجْعَتِكُمْ وَيُمَلَّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ وَيُشَرَّفُ فِي عَافِيَتِكُمْ وَيُمَكَّنُ فِي أَيَّامِكُمْ وَتَقَرُّ عَينُهُ غَدًا بِرُؤيَتِكُم، بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي** - بعدَ هٰذه المقدِّمة عن الرّجعة تأتي الزِّيارةُ فتقول: **مَن أَرَادَ اللّه بَدَأَ بِكُم** - فجوهر العقيدة في الزيارة الجامعة الكبيرة جاء مذكُورًا بعدَ تفاصيل عقيدة الرّجعة - **وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ وَمَنْ قَصَدَهُ** -الموجودُ هُنا هُو المُحرف - **تَوَجَّهَ بِكُم** - النَّصُّ الصَّحيح موجودٌ في (عيون أخبار الرضا) للصَّدوق أيضاً للمؤلِّف نفسه، هٰذا التحريفُ ليس مِنَ الصَّدوق، هٰذا التحريفُ مِنَ الطُّوسيّين (**وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ إِلَيكُم**)..

التشيع الحقيقي للعترة الطاهرة؛ أنَّنا نتوجّهُ إليهم لأنَّهُم هُم وجهُ اللّه، مثلما نُخاطبُ إمامَ زماننا في دعاء النُّدبَة الشَّريف: (**أَيْنَ وَجْهُ اللّه الَّذِيْ إِلَيْه يَتَوَجَّهُ الأَوْلِيَاء**)، إلَيه يتوجَّهُ الأوْلياء فِيْ جَميع حالاتهم؛ في عباداتهم، في مُعاملاتهم، في كُلِّ صغيرة وكبيرة، مُحمَّدٌ وآلُ مُحمَّد هُم وَجْهُ اللّه..

في وداع الزِّيارة الجامعة الكبيرة، في كتاب (الفَقيه) للصَّدوق، صفحة (617)، نَصُّ الوَدَاع الَّذي يُقرأ في خاتمة الزيارة الجامعة الكبيرة: **السَّلامُ عَلَيكُم سَلَامَ مُوَدِّعٍ لَا سَئِمٍ وَلَا قَالٍ وَلَا مَالٍّ** - إلى آخر عبائر هٰذا النَّص.

ذكرٌ رابعٌ للرّجعة: **وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَحَشَرَنِي اللَّهُ فِيْ زُمرَتِكُم وَأَوْرَدَنِي حَوْضَكُم وَجَعَلَنِي فِيْ حِزْبِكُم وَأَرْضَاكُم عَنِّي وَمَكَّنَنِي فِيْ دَوْلَتِكُم** - "فِي دَوْلَتِكُم"؛ في الفَترة الزَّمانيّة المؤاتية لَكُم لمَا تُريدون، وليس بمعنى الدَّولة الَّذي نَعرفهُ اليوم - **وَأَحْيَانِي فِي رَجْعَتِكُم وَمَلَّكَنِي فِي أَيَّامِكُم وَشَكَرَ سَعْيِي بِكُم وَغَفَرَ ذَنْبِي بِشَفَاعَتِكُم وَأَقَالَ عَثْرَتِيْ بِمَحَبَّتِكُم** - هٰذه العَبائر عبائرهُم هٰذا حديثُهم - **وَأَعْلَى كَعْبِي بِمُوَالَاتِكُم وَشَرَّفَنِي بِطَاعَتِكُم وَأَعَزَّنِي بِهُدَاكُم** - وواللّه قد فَعل، هٰذه المضامين إنَّني أعيشُها في حياتي في كُلِّ لحظة من لحظات حياتي، يُفترضُ في كُلِّ شيعي يدَّعي أنَّهُ شيعي أن يتذوَّقَ شيئاً من هٰذه الحلاوة..

الزِّيارةُ الجامعةُ الكبيرة شُحنت بذكر الرَّجعة، لابُدَّ أن تَعرفوا من أنَّ الزِّيارة الجامعة الكبيرة ذكرت الرَّجعةَ تَصريحاً في هٰذه المواطن الَّتي قرأتُها عليكُم.

أمَّا ذكرُهَا تلميحاً فإنَّ الرَّجعَةَ فِي كُلِّ حرف من حُروفها، سأضرِبُ لَكُم مثالًا:

في أوَّل جُملة في الزِّيارة: (**السَّلَامُ عَلَيكُم يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّة**)، هٰذه النُّبُوَّةُ هل تحقَّقت في أكمل مَراتبها من أنَّها للنَّاس كَافَّة؟ هذا المعنى لم يتحقَّق، إنَّما يتحقَّقُ في عَصر الرَّجعة العظيمة، وهكذا كُلُّ وصف كُلُّ وصف مِنَ الأوصاف الَّتي وَردَت في الزِّيارة الجامعة الكبيرة مِن أوَّلها إلىٰ آخرها لا يتحقَّقُ مضمونهُ الكامل إلَّا في الرّجعة العَظيمة، لأنَّ الزِّيارة هٰذه هِيَ القولُ البَليغُ الكامل..

أنتم حينما تقرؤونَ دُعاء البهاء عندَ السَّحر إنَّكُم تتحدَّثُونَ عن الرّجعة في كُلِّ جُملة من جُمله: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ من عَظَمَتِكَ بِأَعْظَمِهَا وَكُلُّ عَظَمَتِكَ عَظِيمَة**)، "من عَظَمَتِكَ بِأَعْظَمِهَا"؛ أعظمُ العَظَمة مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد، ما قبلَ القيامة أينَ يتجلَّى مَقامُ أعظمِ عَظَمتهم بالنَّحو الَّذي نستشعرهُ لا بالنَّحو الذَّاتي لهم؟ بالنَّحو الذَّاتي لَهم هٰذا المقامُ ثابتٌ ولا كلامَ لنا عنه ولا نعرفهُ ولا نتوجَّهُ إليه، لأنَّ عُقُولَنا وقُلُوبنا لا تستطيعُ أن تتعامَلَ معَه..

التجلِّي الأكملُ والأتمُّ لها فِي الدَّولة المُحَمَّديَّة العُظمى، وهٰكذا سائرُ عبائرِ دُعاء البهاء، فَأبْهَى البَهاء وَأجْمَلُ الجَمال وأجَلُّ الجَلال وَأكْمَلُ الكَمال وَأعْظَمُ العَظَمَة وَأنْور النُّور إلى بقيَّة عبائرِ دُعاء البهاء، هٰذه المضامينُ ترتبطُ بِهم وليس بذات اللّه، أتعلمونَ لماذا؟ ذاتُ اللّه لا تُوجدُ فيها مراتب، إذا وُجِدَت فيها مراتب صارت الذَّاتُ الإلهيَّةُ مُركَّبةً وحينئذ ستكونُ الذَّاتُ الإلهيَّةُ مُحتاجةً لأجزائها كي تتركَّب، والذَّاتُ الإلهيَّةُ ذاتٌ غنيَّةٌ، والدُّعاءُ يُشيرُ إلى مراتب، هٰذه المراتبُ إنَّما تَظهرُ في تَجلِّيات الحقيقة المُحَمَّديَّة..

لاحظتُم كيفَ أنَّ الزِّيارةَ الجامعةَ الكَبيرة تحدَّثت بالتَّصريح والتَّفصيل عن الرّجعة العظيمة في أصل نَصِّها في ثَلاث مَرّات المرّةُ الرّابعة في نَصِّ وَدَاعها، أمَّا إذا أردنا أن نَنْظُر إلىٰ تلميح الزِّيارة الجامعة الكَبيرة إلى الرّجعة العظيمة فإنَّ ذٰلكَ سيكونُ موجوداً في كُلِّ جُملة فِيْ كُلِّ كلمة فِيْ كُلِّ مَقام مِن مَقاماتهم صلواتُ اللّه عليهم..

في سُورة الزُّخرف، الآية الثَّالثة بعدَ البسملة والَّتي بعدها: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** - هٰذا هُوَ الَّذي نَحنُ نَصلُ إليه لُغةٌ كلامٌ، ومعَ ذٰلكَ هُناكَ احتمالٌ كبيرٌ أنَّنا لا نُدركهُ لأنَّ الآية قالت: "**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**"، والَّذي يبدو أنَّنا لا نَعقل، الواقعُ هٰكذا يقول، أمَّا من حَيثُ هُم: **وَإِنَّهُ** - الآيةُ في عَلِي وعَلِيّ عُنوانُهم صلواتُ اللّه عليهم - **وَإِنَّهُ فِيْ أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيم**﴾، هٰذه الجهةُ نحنُ لا نستطيعُ أن نتعاملَ معها نحنُ لا نَعرفها..

إذَاً الزِّيارةُ الجامعةُ الكبيرةَ قَوْلٌ بَليغٌ كاملٌ بِحسبِنا لا بِحسَبِهم، بِحسبِهم نحنُ لا نعلمُ شيئاً..

في الزِّيارة الجامعة الرَّجبيَّة؛

الزِّيارةُ الجَامعةُ الرَّجبيَّة هي جامعةٌ لأنَّنا نَزورُ الأئمَّة من مُحَمَّد صَلَّى اللّهُ عليه وآله إلىٰ القائم صلواتُ اللّه عليه نَزُورُهُم جميعًا بهٰذه الزِّيارات، وهِيَ رَجبيَّةٌ لأنَّها خاصَّةٌ بشهر رَجب، وهٰذا النَّص وَردَنا مِنَ الحُجَّة بن الحَسَن مِنَ التوقيعات الشَّريفة..

في (مصباح الزائر) لابن طاووس الحسني الدَّاوودي الحلِّي المتوفّى سنة (664) للهجرة، طبعةُ مُؤسَّسة آل البيت/ قُمْ المقدَّسة/ الفصلُ التَّاسعَ عَشَر، صفحة (493)، الزِّيارةُ الأولىٰ هي هٰذه الزِّيارةُ الجامعةُ الرَّجبيَّة الَّتي أوَّلُها: (**الْحَمْدُ للّه الَّذِيْ أَشْهَدَنَا مَشْهَدَ أَوْلِيَائِه فِيْ رَجَب**)، بِهٰذه الزِّيارةُ نَزُورُ الأئمَّةَ في شهر رجب، إلىٰ أن نَقُولَ في آخر الزِّيارة: **وَأَنْ يُرْجِعَنِي مِنْ حَضْرَتِكُم خَيْرَ مَرْجِعٍ إِلَى جَنَابٍ مُمْرِعٍ وَخَفْضِ عَيْشٍ مُوَسَّعٍ وَدَعَةٍ وَمَهَلٍ إِلَى حِينِ الأَجَلِ وَخَيْرِ مَصِيرٍ وَمَحَلٍ فِي النَّعِيمِ الأَزَلِ وَالعَيْشِ المُقْتَبَلِ وَدَوَامِ الأَكْلِ وَشُرْبِ الرَّحِيقِ وَالسَّلْسَلِ وَعَلٍّ وَنَهَل** - "وَعَلٍّ وَنَهَل؛ العَلُّ هي الشَّربةُ الأولى حينما يكونُ الإنسانُ في غاية العطَش، وأمَّا النَّهل هي الشَّربةُ الثَّانية للتلذُّذ - **لَا سَأْمَ فِيه وَلَا مَلَل** - العبائر بحاجة إلىٰ شرح - **وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتُه حَتَّى العَوْدِ إِلَى حَضْرَتِكُم وَالفَوْزِ فِيْ كَرَّتِكُم وَالْحَشْرِ فِيْ زُمْرَتِكُم وَالسَّلامُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ اللّه وَبَرَكَاتُهُ وَصَلَواتُهُ وَتَحِيَّاتُه.**

هٰذا المضمونُ يَتردَّدُ ويَتردَّدُ ويَتردَّدُ فِيْ زيارات الأئمَّة، إذا كانت الرَّجعةُ ليست مُهِمَّةً لماذا هٰذا التركيز فِيْ زياراتهم عليها؟

في (كامل الزيارات) لابن قولويه، المتوفّى سنة (368) للهجرة، طبعةُ مكتبة صدوق/ طهران - إيران/ البابُ الرَّابع والمئة، العنوانُ: "زيارةٌ لجميع الأئمَّة صَلَوَاتُ اللّه عَلَيْهم"، حينما نتحدَّثُ عَنْ الأئمَّة إنَّنا نتحدَّثُ عن؛ "مُحَمَّد وعَلِيٍّ وَفَاطمَة وَالأئمَّة مِن وُلْد فَاطمَة مِنَ الْمُجتَبَىٰ إِلىٰ القَائم صَلَوَاتُ اللّه وسَلامهُ عَلَيهِم أجمَعين"، الزِّيارة الثَّانية صفحة (331)، الحديثُ الثَّاني، هٰذه الزِّيارةُ منقُولةٌ ومرويَّةٌ عَن إِمامنَا الصَّادق صَلَوَاتُ اللّه وسلامهُ عَلَيه، هٰذه زيارةٌ مُميّزةٌ..

أنا أُطلِقُ هٰذا الوصف علىٰ هٰذه الزِّيارة؛ (**إنَّها الزِّيارةُ الجامعةُ المتحركة**).

قد تقولونَ ما معنىٰ هـٰذا؟ لأنَّ النَّصَّ الَّذي وَردَ عن الصَّادق الـمُصدَّقِ صلواتُ اللّه عليه وردَ بصيغة واحدة، ولكنَّ الإمامَ قالَ لنا: إذا كانت الزِّيارةُ لرَسُول اللّه فَمثلما جاء النَّص، لأنَّ النَّصَّ جاءَ بعنوان زيارة لرَسُول اللّه، وإذا كانت الزِّيارةُ لأَمير المؤمنين فلابُدَّ من تَغيير تراكيبها اللَّفظيّة، وإذا كانت الزِّيارةُ للصِّدِّيقة الطَّاهرَة فلابُدَّ من تَغيير تراكيبها اللَّفظيّة، وهـٰكَذا إذا كانت الزِّيارةُ لأيِّ إمام منَ الأئمَّة من وُلْد فَاطمَة منَ الـمُجتبىٰ إلىٰ القائم لابُدَّ من تَغيير تراكيبها اللَّفظيّة، من هُنا قُلت من أنَّ الزِّيارةَ هـٰذه زيارةٌ جامعةٌ مُتحرِّكة، فالزَّائر هُوَ الَّذي يُغَيِّرُ تَراكيبَ الألفاظَ بِحسَبِ ما يَعرِفهُ عن الإمام الَّذي يَزورهُ، سأعودُ إلىٰ هـٰذه الزِّيارَة في قادم الحَلقات..

الزِّيارَةُ هُنا تحدَّثت عَن الرّجعة العظيمة أيضًا: **اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخرَ العَهْد من زِيَارَة قَبْرِ ابْنِ نَبِيِّك** - إذا كانت الزِّيارةُ لأحد الأئمَّة المعصُومين من وُلْد فَاطمَة - **وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُوْدًا تَنْتَصِرُ بِهِ لدِيْنك وَتَقْتُلُ بِهِ عَدُوَّك فَإِنَّكَ وَعَدْتَهُ ذَلِكَ** - وَعَدْتَ الحُسينَ صَلواتُ اللّهِ وسَلامهُ عليه، لأنَّ الزِّيَارة هي زَيارةٌ للحُسَينِ أيضًا، وهـٰذا الوعدُ لمُحَمَّد وآل مُحَمَّد جَميعًا..

فإنَّ الزِّيارة الشَريفَةَ تتحدَّثُ هُنا عَن الرّجعةِ العظيمة عن رَجعَةِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد صَلواتُ اللّهِ وسَلامهُ عليهم أجمعين - **وَأَنْتَ الرَّبُّ الَّذِيْ لَا تُخْلِفُ الْمِيْعَاد..**